أسس الفكر التاريخي ومضمونه

في الحجاز قبل الإسلام

اعداد الباحثة

رحاب حامد الأحمدي

المستلخص:

يتناول هذا البحث أسس الفكر التاريخي في منطقة الحجاز في عصور ما قبل الإسلام، وفي تحديد بداية الحس التاريخي عند العرب في بلاد الحجاز، وأهم مظاهر اهتمامهم بالفكر التاريخي والذي يتمثل في تسجيلهم لانتصاراتهم وملاحمهم وإبراز مفاخر القبيلة وأعمالها فيما يعرف باسم "أيام العرب"، ولما تقادم الزمن وتكاثرت المدونات التاريخية اختلفت النظرة إلى الأحداث تبعاً لتغير المعايير وتطور الأفكار لبداية الحس التاريخي عند العرب، وقد قام العرب بتدوين تاريخهم والعناية به وإبراز شخصيتهم بين الشعوب حيث كان لديهم قصاص يروون أيامهم وحروبهم ويتفاخرون بأنسابهم وتدوينها في بعض الأحيان، وغالبًا ما كانت الرواية الشفوية هي المعتمدة في تلك الفترة . وقد رأت الباحثة أنه لا يمكن تحديد بداية الحس التاريخي في بلاد الحجاز بحقبة محددة من الزمن ولكنه كان موجود حتى إن انتابه بعض الجمود والتحجر ؛ فقد بقيت الرواية الشفهية تتناقل بها أيام العرب وأنسابهم وسير أبطالهم وكرمائهم وأحوال البلاد البعيدة عنهم عن طريق التجار وأحوال الحواضر وأخبار مواسم الحج وأخبار الشعراء ، وقد بقيت تلك الأخبار والمرويات حتى عصر التدوين والذي بدأ مع ظهور الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الفكر التاريخي – الحجاز - الإسلام

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

زخرت الحركة الفكرية التاريخية ببلاد الحجاز بروايات متعددة ولكن كان الكثير منها يحتوى على مغالطات ومبالغات عند الحديث عن الفترة الموغلة في القدم ، بينما نجد أن تلك الروايات تكون أقرب للصحة فيما يتعلق بالفترة التي سبقت ظهور الإسلام بقليل[1]، ولما تقادم الزمن وتكاثرت المدونات التاريخية اختلفت النظرة إلى الأحداث تبعاً لتغير المعايير وتطور الأفكار لبداية الحس التاريخي عند العرب، ولعل من المتعارف عليه أن ابن خلدون (ت 808ه) كان أوسع الذين سبقوه نقداً وتحليلاً للتاريخ في مقدمته، فقد أشار إلى: "أن كثيراً ما وقع المؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً وسميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"[2].

[1] لبان، مصطفى سليمان، " أثر الجغرافيا التاريخية على التكوين الثقافى في الحجاز قبل الإسلام "، مجلة الآداب مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية، العدد: ١٨، مارس 2021، ص 740؛ جابر، فاضل، مصادر التاريخ الإسلامى وكيفية الاعتماد عليها ، مجلة أهل البيت، العدد: ٤، د.ت، ص99.

[2] ابن خلدون، ولى الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ)، المقدمة، ط.1، بيروت، 1978، ص 17.

وربما ترجع هذه المغالطات في تحديد بدايات الحس التاريخي في بلاد الحجاز إلى عاملين أساسيين:

الأول: إهمال الاخباريين المسلمين لتاريخ ما قبل الإسلام بسبب ما أحدثه الدين الإسلامي ونبيه ﷺ من تطور إيجابى سريع للبشرية جعلهم يهتمون بالتاريخ الجديد للأمة مع إلمامة سريعة لما سبقته من سنين قريبة دون العناية بما هو أبعد وأعمق [3].

والثاني: هو أن العرب اعتمدوا في نقل تاريخهم على الروايات الشفهية التى اضطروا إلى العناية ببعضها وإهمال البعض الآخر، والعناية والحرص على الأقرب للمعاصرين مما يتصل بحياتهم مباشرة كالمفاخرة بالصفات القبلية وأصولها ومعاركها، والحوداث الهامة القريبة دون غيرها لتغلب النسيان على ذاك الماضى البعيد وأخباره الشفهية[4].

[3] الحلوانى، سعد بدير، تأريخ التاريخ مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه، ط.2، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 42.

[4] الحلوانى، سعد بدير، تأريخ التاريخ ، ص 42.

المبحث الأول:

أسس الفكر التاريخي ومنطلقاته

اهتم العرب بمنطقة شبه الجزيرة العربية عامة وبلاد الحجاز بصفة خاصة بمعرفة أخبار الأمم المجاورة والأمم السابقة منذ القرون الأولى وحتى البعثة[5]، وتأييداً لذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ - {سورة النمل – الآية 69}، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ - {سورة آل عمران– الآية 137}؛ وقد ساعد على ذلك تنوع سكان بلاد الحجاز واتصالهم بشعوب والأمم الأخرى عن طريق النشاط التجاري مما جعل العديد من التجار ينقلون أخبار الأمم وعاداتهم وتقاليدهم وهو ما يطلق عليه التاريخ الشفهى[6] .

ولم يكن الحس التاريخي يعتمد فقط على الروايات الشفهية، فقد كانت القصص مظهر من مظاهر الفكر التاريخي الجاهلى، وقد أشار إلى ذلك "أحمد أمين" حيث قال: ((كان للعرب قصص، وهو باب كبير من أبواب أدبهم، وفيه دلالة كبيرة على عقليتهم)) [7].

وقد أشار جواد علي إلى غايات العرب في الجاهلية من الاستماع إلى قصص، قال: " وللجاهلين غايات من الاستماع إلى القصص منها العبرة والاتعاظ، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ - {سورة يوسف – الآية 111}، ومن القصص قصص الملوك والأبطال وسادات القبائل، وفى قصص أهل الأخبار المنسوب إلى الجاهلية قصص عن الأسفار، ومشقات السفر، وعن الأهوال التي كان يلاقيها المسافرون في ذلك العهد، والجن والسعالي، وفى أبواب القصص، باب للمُجون والخلاعة، ومن قصاص الجاهلية (النضر ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف) وكان من

---

[5] شاكر، مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج/1، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط.1، 1978، ص57.

[6] مغربي، محمد على، لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام، مطبعة المدني، القاهرة، ط.1،1993، ص 203 ، 204.

[7] أمين، أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط.10، 1969، ص 66.

شياطين قريش أى أذكيائهم[8]؛ وقد كان للعرب الجاهلين أسواق ومجالس وأندية يستمتعون فيها برواية القصص وسماعها، وكانت معظمها مرتبطة بدياناتهم، ومعتقداتهم وحياتهم القبلية[9].

وقد ذكرها القلقشندى (ت 1418 ه) ومنها : "دومة الجندل وكانوا ينزلون فيه في أول يوم من ربيع الأول، وسوق هجر من البحرين في شهر ربيع الآخر وعمان من البحرين، وأدم وقرى الشحر من اليمن، وعدن من اليمن، ويشترون منه اللطائم وأنواع الطيب، وحضرموت، وصنعاء ويجلبون منها الخرز والأدم والبرود، وعكاظ ويرتحلون إليه في الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار ويتحاجون، ومن له أسير سعى فدائه ومن له حكومة ارتفع إلى من له الحكومة" [10].

كذلك كانت تنقل الأخبار والأحداث التاريخية في بلاد الحجاز عن طريق الشعر حيث كان خيال البدوي صورة متنازعة من الواقع لا من ابتكار الخيال ، فكان يقوم بوصف كل الأجزاء ويدقق بها تدقيقاً رائعاً [11] وأوضح مثال على ذلك قول امرئ القيس (ت ٥٤٥م) :

له أيطلا ظبيٍ وساقا نَعَامةٍ وإرخاءُ سِرحانٍ وتقريبُ تتفُلِ[12] .

ويقول طرفة بن العبد (ت ٥٦٤ م) :

كأنَّ حدوجَ المالكيّةِ غدوةً خلايا سفينٍ بالنواصفِ من ددِ[13].

---

[8] على، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1971، ص 372، 373؛ يعقوب، منال يعقوب عبد الرحيم، تجليات الثقافة الجاهلية في لغة السور المكية، أطروحة ماجستير(غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، نابلس – فلسطين، 2012، ص29.

[9] يعقوب، منال، تجليات الثقافة الجاهلية، ص29.

[10] القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج/1، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق ، 1981م، ص 468، 469.

[11] العلى، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركات المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، ط.1، 2000، ص160. الخرز : فصوص من حجارة واحدتها خرزة . أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٤٤ .الأدم: والأدم يقصد به الجلود . أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٠. البرود :والبرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي والجمع أبراد وأبرد وبرود . أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٧.

[12] امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار(ت٥٤٥م)، ديوان امرؤ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٥٨. أيطلا: الأيطل والإطل : الخاصرة والجمع الأياطل والآطال . التتفل : ولد الثعلب. امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ص٥٨-٥٩.

[13] العلى، صالح ، تاريخ العرب القديم ، ص160.

ويأخذ الاهتمام بالفكر التاريخي عند العرب قبل الإسلام مظهرين أساسيين؛ ويبرز المظهر الأول في الاهتمام بأنساب القبيلة والذى انتهى بتطوير علم الأنساب[14].

أما المظهر الثاني للاهتمام بالتاريخ عند العرب قبل الإسلام فيتضح في الاهتمام بتسجيل انتصارات القبائل العربية وإبراز مفاخر القبيلة وأعمالها المجيدة في التاريخ ، وقد تطور عن هذا الاهتمام ما يعرف باسم " أيام العرب "، وهو فهم للتاريخ يرصده في أيام بعينها تمثل قمة هذا التاريخ وذورته على المستوى القبلي الداخلي كما تمثل في أيام القبائل العربية مع بعضها البعض، أو أيام القبيلة الواحدة عندما ينشب صراع داخلي بين عشائرها وبطونها، وكذلك على المستوى الخارجي كما تمثل في أيام العرب ضد شعوب أخرى مثل أيامهم ضد الفرس والروم [15].

وقد أشار ابن حبيب (ت 245ه) أن تاريخ العرب أرخ من أيامهم حيث قال أبوسعيد أخبرنى محمد بن حبيب قال: " تأريخ العرب الذى أرخت عليه التفرق وكان السبب التفرق أن بختنصر أمر بغزو أهل حضور وأهل باعربايا ، الذين ليس لأبوابهم أغلاق، فسار نحوهم واستعرض العرب بالسيف حتى انتهى إلى حضور " ؛ ويقول: " ثم أرخوا من عام الغدر وكان سبب عام الغدر أن أوسا وحصبة ابنى أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة ابن تميم خرجا حاجين فلقيا بأنصاب الحرام ملكا معه كسوة فقتلاه وأخذ اما معه ودخلا مكة. حتى إذا كان إيام منى وهدأ الناس بلغهم الخبر فغدرت العرب ببنى تميم وانتهب بعضهم بعضا فسمى ذلك (عام الغدر) " [16].

كذلك أرخ العرب بالسنين ، ومن ذلك قول النابغة الجعدى (ت٦٧٠م):

فمن يك ســـــــائلا عنى فإني من الفتيان أزمـــــان الخنـــان

([14])علم الأنساب: وهو علم تاريخى تأريخى، فهو بمثابة رصد عام لتاريخ القبيلة من خلال التأريخ لآبائها وأجدادها، ورسم شجرة لأنسابها توضح أصولها والفروع التى تفرعت منها، وعلاقاتها الداخلية، وكذلك علاقتها الخارجية، أى العلاقات العرقية الواقعة بين القبيلة وغيرها من القبائل في شبه الجزيرة العربية؛ للمزيد انظر: حسن، محمد خليفة، التفكير التاريخي والحضارى عند الشعوب العربية السامية القديمة، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ط، 1421ه/2000م، ص 13.

[15] الوائلي، طرفة بن العبد بن سفيان البكري أبو عمرو الشاعر الجاهلي(ت٥٦٤م)، ديوان طرفة بن العبد، المحقق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، ص١٩. الحدوج: مفردها الحدج وهو مركب النساء. الدد: اللهو واللعب. أنظر : ديوان طرفة بن العبد، ص١٩.

[16] محمد بن حبيب، أبى جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمى البغدادى (ت 245ه)، كتاب المحبر، رواية/ أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى، تصحيح/ إيلزه ليحتن شتيتر، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، 1361ه، ص 5- 7.

ومنه قول العجير السلولى (ت ١٠٥هـ):

رأتني تحادبت الغداة ومن يكن فتى قبل عام الماء فهو كبيـــر[17]

ومن خلال " أيام العرب " يمكن التعرف على بعض ملامح الفكر التاريخي عند العرب قبل الإسلام وبخاصة فيما يتعلق ببنية الحدث التاريخي وعلاقة التاريخ بالنظام الإجتماعى وعلاقته بالدين بالإضافة إلى معرفة فلسفة الحرب والموت والموقف من القدر والدهر، وكذلك تشير أيام العرب إلى توفر إدراك واضح لدى العرب بالعناصر الأساسية المكونة للحدث التاريخي وهى عناصر المكان والزمان الذى يتم فيه الحدث، والإنسان المسئول عن الحدث أو فاعله فرداً كان أو جماعة، إضافة إلى ذلك إدراك العلة التاريخية ، فالأيام على اختلافها وقعت لأسباب معينة بعضها أسباب تافهة أو لنقل غير معقولة حين تنظر إليها كعلة للحدث مثل حرب داحس والغبراء وهذه الحرب دارت بين عبس وذبيان ابني بغيض بن ريث بن غطفان وداحس والغبراء اسمان لفرسين ، فكان داحس فحلًا لقيس بن زهير والغبراء حجرًا لحمل بن بدر وقد تراهن كلاهما على داحس والغبراء أيهما يسبق الآخر ، وأكمن حمل بن بدر كمينًا لداحس حيث أمر فتيانًا يردوا وجه داحس من الغاية إن أتى سابقًا للغبراء وثارت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة [18].

لذا ترى الباحثة أنه لا يمكن تحديد بداية الحس التاريخي في بلاد الحجاز بحقبة محددة من الزمن ولكنه كان موجود حتى إن انتابه بعض الجمود والتحجر ؛ فقد بقيت الرواية الشفهية تتناقل بها أيام العرب وأنسابهم وسير أبطالهم وكرمائهم وأحوال البلاد البعيدة عنهم عن طريق التجار وأحوال الحواضر وأخبار مواسم الحج وأخبار الشعراء ، وقد بقيت تلك الأخبار والمرويات حتى عصر التدوين والذي بدأ مع ظهور الإسلام.

[17] محمد بن حبيب (ت 245هـ)، كتاب المحبر، ص 5- 7.

[18] حسن، محمد، التفكير التاريخي والحضارى، ص 20، 25، 33.

المبحث الثاني: مضمون الفكر التاريخي وأساليبه

هناك مفهومان أساسيان للفكر التاريخي: مفهوم داخلي ضيق يختص بالعلاقات الداخلية بين القبائل العربية، ومفهوم خارجي يختص بالعلاقات بين القبائل العربية مجتمعة وبين الشعوب الأخرى المجاورة خارج شبه الجزيرة العربية[19].

ويوضح هذان المظهران مضمون التفكير التاريخي عند العرب قبل الإسلام من حيث ارتباط الاهتمام بالتاريخ بالشعور القبلى والعلاقة الدموية بين أفراد القبيلة الواحدة مما أدى إلى الانشغال بالأنساب ونقاوة الدم، والدفاع عنهما ضد كل من يتعرض لهما بالنقد والتجريح، وكذلك الانشغال بإنتصارات القبيلة وتسجيل هذه الانتصارات شعراً ونثراً ، وهى وظيفة قام بها أدباء القبيلة وبخاصة شعراؤها، وقد ارتبط هذان المفهومان بأيام العرب ورواياتهم الشفهية التى كانت تنقل عن طريق التجار [20].

ويتضمن الفكر التاريخي بحث واستقصاء حوادث الماضى، وربما يكون مشتق من لفظ التاريخ الذى عرفه الطبرى (ت 310 ه): "ساعات الليل والنهار " [21].

كان العرب يقيدون الحوداث بالعد أو بالتأريخ ولكنهم لم يعرفوا لفظ التاريخ إلا بعد القرن الأول الهجرى، فوجد أن أهل الحجاز لا يكادون يلفظون لفظة التاريخ في روايات الصدر الأول وبالتحديد حتى أواخر القرن الثاني الهجرى تقريباً، بل اشتهر على ألسنتهم جميعاً عبارة: " من مقدم النبى ﷺ " مكان كلمة (من التاريخ)، تليها في الشهرة عبارة (من الهجرة أو: من مهاجره)، أو يكتفون بعد السنين مطلقةً من غير نسبة صريحة [22]

[19] حسن، محمد، التفكير التاريخي والحضارى، ص 13، 14.

[20] حسن، محمد، التفكير التاريخي والحضارى، ص 14.

[21] الطبرى، محمد بن جرير (ت 310 ه)، تاريخ الأمم والملوك، مج/ الأول، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، 1967، ص 9.

[22] الشال، أحمد خليل، أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية، بور سعيد،ط١، ١٤٣٦ه/٢٠١٦م، ص٣٣.

وقول النابغة الجعدى:

ألم تسأل الدار الغداة متى هيا عددت لها من السنيـــن ثمانيـــــا [23].

أما الجبرتى (ت ١٨٢٥م) فيذكر أنه: " علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم " [24] ؛ ويذكر ابن بشر (مؤرخ نجد): أن علم التاريخ "علم شريف فيه موعظة واعتبار، وإطلاع على حوادث الدهر الدوار، ومعرفة أحوال الماضيين مما يوقظ الأذهان والأفكار، ويقيس العاقل نفسه على ما مضى من أمثاله في هذه الديار " [25].

ولقد اعتمد الفكر التاريخي في بلاد الحجاز على أسلوبين في فترة موضوع الدراسة تطورت مع دخول الإسلام وهم:

1- الأسلوب القصصي:

ارتبط الأسلوب القصصي بروايات الشفهية وأيام العرب حيث كانت القبائل تروى أيامهم وحروبهم وانتصاراتهم لتفخر بها على القبائل الأخرى، وهو نوع من التاريخ الشفهي، وتميزت هذه القصص بالواقعية، وإن اصطبغت بالتحيز والمغالاة في بعض الأحيان[26]، وكانت تنقل القصص عن طريق الشعراء والأدباء وتكون القصة أما شعراً خالصاً أو نثراً تتخلله بعض الأشعار حيث كانت الأشعار الوثيقة التي تعزز القصص خاص وأن شارك الشاعر بنفسه في أحداثها، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥): "الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر ومنه تعلمت اللغة ..."[27]، كذلك كان هناك بعض الروايات الشفهية تعبر عن آلهتهم وروايات تعبر عن شؤونهم الاجتماعية ومآثرهم وهى تتصل بالتنظيم الإجتماعي وبالآراء والمثل الاجتماعية، وفى طليعتها المروءة، أو مجموعة من

---

[23] الشال، أحمد، أثر الوضع في رواية التاريخ ، ص33.

[24] الجبرتى، عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، المطبعة العامرة الشريفة، 1322هـ، ص2.

[25] بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج/2، مكتبة الرياض، الرياض، ص 2.

[26] نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 6، 7.

[27] أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٢١٢. الدورى، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م، ص 18، 19؛ نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي، ص 7.

الفضائل البدوية[28] ؛ ويقول الجاحظ (ت 255 ه) في كتابه البيان والتبين: " لأن العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقى بالبشر، من حقوق القرى ومن تمام الإكرام به"، وقال شاعرهم، وهو حاتم الطائى (ت ٦٠٥ م):

هل أبسط وجهى أنه أول القرى وأبذل معروفى له دون منكرى [29]

وكان أشهر هذه القصص " قصص الأيام " وهى مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية، وهى ملك مشترك للقبيلة، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، صارت "الأيام " جزءاً من الأخبار التاريخية كما أن ورود الشعر فيها جعلها موضع اهتمام اللغويين والنسابين والمؤرخين مثل أبى عبيدة، وابن قتيبة ، وقد حاول ابن الأثير أن يورد أخبار الأيام في تسلسل تاريخى، ويرى حاجى خليفة أن تكون "الأيام" فرعاً من التاريخ؛ إذ يقول: " علم أيام العرب وهو علم يبحث فيه الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب .. والعلم المذكور ينبغى أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ " [30].

إن أهمية روايات "الأيام" تكمن في استمرارها في صدر الإسلام وفى أسلوبها، فأسلوب قصص الأيام مباشر يفيض بالحيوية، وواقعي يختلط فيه النثر والشعر، وهذا الأسلوب له أثره في بداية علم التاريخ عند العرب وفى الأوساط القبلية خاصة[31]، ومن الأخبار التاريخية الهامة التي حفظتها لنا الروايات والقصائد تاريخ الكعبة منذ بنائها إلى أيام "قصى بن كلاب " (جد النبي ﷺ)، فيقول ابن هشام (ت 183ه): " قال ابن إسحاق: فلما بلغ الرسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كان رضماً فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفراً سرقوا كنزا (من) الكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذى وجد عنده

[28] الدورى، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ ، ص 18، 19.

[29] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج١، ١٤٢٣هـ، ص٣٣.

[30] الدورى، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ ، ص ١٨، 20.

[31] الدورى، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ ، ص 19، 20.

الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة " [32] ؛ واشتملت الروايات أيضاً طرد قصى بن كلاب لخزاعة من مكة، وتوليه هو وأبنائه حكمها، وحلف الفضول وغير ذلك من أخبار مكة [33].

أضف إلى ذلك علم الأنساب فهو نوع من القصص التاريخية المصبوغة بالخرافات والأساطير لدى القبائل، فكانت كل قبيلة تحفظ نسبها، وتحفظه أبناءها، لتظل نقية بعيدة عن الشوائب، لتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى، وكانت كل قبيلة تعنى بما تعتبره تاريخها، وترويه لأجيالها القادمة[34] .

2. أسلوب الخبر (علم الأخبار):

علم الخبر وجمعها أخبار وهى كلمة عربية الأصل، وليس كما يزعم روزنثال أن " أصل (خ ب ر) غير واضح، وليس لدينا من دليل يرجح كون أصل الكلمة في اللغة العربية ذاتها، كما أن أدلة اللغات السامية الأخرى لا تمكن من اتخاذ قرار حاسم " [35]، ولكن هذا الزعم غير صحيح فقد وردت الكلمة في القرآن الكريم فيقول الله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ - {سورة النمل– الآية 7}، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ - {سورة الزلزلة– الآية 4}.

وقد عرف العرب في بلاد الحجاز بعض أخبار من جاورهم من الأمم، مثل الفرس والرومان، كذلك نقل التجار أخبار الأمم البعيدة عن بلاد الحجاز أثناء رحلاتهم التجارية في الشتاء والصيف [36] فيقول الله عز وجل: ﴿ لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ - {سورة قريش– الآية 2}، ومعنى الخبر عند العرب هو كل ما يصدر عن لسان المرء بغرض الإعلام بشئ يبين عن معنى ذاته ويحتمل الصدق والكذب [37].

وبعد ظهور الإسلام اهتم القرآن الكريم بأخبار الأمم السابقة لتكون عظة للمسلمين يتعلمون منها

[32] ابن هشام، السيرة النبوية، ج/1، ص 284.

[33] الحلوانى، سعد بدير، تأريخ التاريخ ، ص 59.

[34] نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي ، ص 7.

[35] الشال، أحمد، أثر الوضع في رواية التاريخ ، ص 64.

[36] نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي ، ص 7.

[37] الشال، أحمد، أثر الوضع في رواية التاريخ ، ص 65.

حتى ليقال إن " النضر بن الحارث " كان ينافس الرسول ﷺ ويدل عليه بمعرفة الفرس[38]؛ فكانت من الأمم السابقة التى أخبرنا عنها القرآن الكريم أهل مدين فيقول الله عز وجل: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ - {سورة الأعراف– الآية 85}، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ - {سورة القصص– الآية 23}.

واشتق من علم الخبر بعد ظهور الإسلام علم الأنباء ويقصد به قبل الإسلام علم ما يخفى على غيره ودل ذلك على كلام العرب وقد استخدمت هذه الكلمة كثيراً في القرآن الكريم[39]، فقال تعالى: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - {سورة التوبة– الآية 94}، وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ - {سورة الكهف– الآية 78}،

وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ - {سورة التوبة– الآية 64}.

كذلك استخدمت كلمة نبأ كثيراً في القرآن الكريم عند الحديث عن أخبار الأمم الماضية وأنبيائها، فقوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ - {سورة النمل– الآية 22}، كما وردت بمثل هذا المعنى في الحديث الشريف، من ذلك ما جاء في مسند أحمد في قصة الخضر وموسى، جاء فيه: ((ثم قص عليه النبأ نبأ السفينة))، ولكن قل استعمالها في كتب الأخبار رغم أنها بابها، ويرجع ذلك أنهم استعاضوا عنها بكلمة الأخبار التي هي أوسع في الدلالة من الأنباء، فيقول القاسم بن سلام: "فهذه بلاد العنوة، وقد أقر أهلها على مللهم وشرائعهم، ولكل هذه قصص وأنباء، نأتي بما علمنا منها

[38] نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي ، ص 7.

[39] الشال، أحمد، أثر الوضع في رواية التاريخ ، ص 65.

إن شاء الله" [40].

[40]) الشال، أحمد، أثر الوضع في رواية التاريخ ، ص 66.

الخاتمة

وفي الختام نخرج من هذا البحث بعدد من النتائج أهمها :

1. اهتم العرب بتدوين تاريخهم والعناية به وإبراز شخصيتهم بين الشعوب حيث كان لديهم قصاص يروون أيامهم وحروبهم ويتفاخرون بأنسابهم وتدوينها في بعض الأحيان ، وغالبًا ما كانت الرواية الشفوية هي المعتمدة في تلك الفترة .
٢. اهتمام العرب بمعرفة أخبار الإمم المجاورة لهم مثل الفرس والرومان وذلك عن طريق نشاطهم التجاري .
٣. أنه لا يمكن تحديد بداية الحس التاريخي في بلاد الحجاز بحقبة محددة من الزمن ولكنه كان موجود حتى إن انتابه بعض الجمود والتحجر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

1- ابن خلدون، ولى الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 808 ه)، المقدمة، ط.1، بيروت، 1978م.

2- القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، تحقيق :عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق ، 1981م.

3- محمد بن حبيب، أبى جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245ه)، كتاب المحبر، رواية/ أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى، تصحيح/ إيلزه ليحتن شتيتر، جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1361ه.

4- الطبري، محمد بن جرير (ت 310 ه)، تاريخ الأمم والملوك، مج/ الأول، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، 1967م.

5- الجبرتي، عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج/1، المطبعة العامرة الشريفة، 1322ه.

6- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج١، ١٤٢٣ه.

ثانياً المراجع:

7- الحلواني، سعد بدير، تأريخ التاريخ مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه، ط.2، المملكة العربية السعودية، 1999م.

8- شاكر، مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط.1، 1978م.

9- مغربي، محمد على، لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام، مطبعة المدنى، القاهرة، ط 1، 1993م.

10- أمين، أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط.10، 1969م.

11- على، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1971م.
12- يعقوب، منال يعقوب عبد الرحيم، تجليات الثقافة الجاهلية في لغة السور المكية، أطروحة ماجستير(غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، نابلس – فلسطين، 2012م.
13- العلى، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركات المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، ط.1، 2000م.
14- حسن، محمد خليفة، التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية السامية القديمة، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ط، 1421ه/2000م.
15- الشال، أحمد خليل، أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، ط ١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٦م.
16- بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج 2، مكتبة الرياض، الرياض، 2008م.
17- نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
18- أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
19- الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م.

ثالثاً: المجلات العلمية:

20- لبان، مصطفى سليمان، "أثر الجغرافيا التاريخية على التكوين الثقافي في الحجاز قبل الإسلام"، مجلة كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، العدد: ١٨، مارس 2021م.
21- جابر، فاضل، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مجلة أهل البيت، العدد: ٤، د.ت.